عصابة روتشيـــلد

١ ـ أميرهس كاسل يبيع الشعب ليهود فرنكفورت .
٢ ـ إنجلترا تخطف أفراد الشعوب وتجندهم لاستعمار أمريكا
٣ ـ فلاسفة أوربا يشهدون على الإنجليز واليهود باللصوصية .
٤ ـ اليهود يدخلون من القاع ويخرجون من القمة .

للاستاذ محمد محمود زيتون

انتصف القرن الثامن عشر وما تزال الثروة العامة محصورة في استغلال الضياع ، أو المعادن المسيطرة على الأسواق ، وليس من سبيل إلى الغنى سوى امتلاك الأرض ، وتوفير المال ، والتعامل بالربا ، فكان من الطبيعي أن يكثر المال في أيدى أصحاب الثراء ، بينما يكاد ينعدم عند الكثيرين ، مما أدى إلى استغلال ذوى الحاجة ، ودعا إلى الغبن والاحتكار .

وهناك في مدينة فرنكفورت ، عرف « ماير أنسلم روتشيلد » في حى اليهود — بتجارة الأوسمة والأحجار الكريمة ، وأفاد من تعدد العملة في الدويلات خبرة بشؤون النقد .

وأصبح « الكونت هاناونزج » - الصديق الحميم لليهودى روتشيلد — أميراً على « هس كاسل » فكان له حق التصرف في رعيته ، ولا يسأل عما يفعل بهم ، فهو يجندهم ثم يبيعهم — كقطعان الغنم ـ للدول الأجنبية تستخدمهم في حروبها الطاحنة .

وكان التنافس في الاستعماريين إنجلترا وفرنسا على قدم وساق ، بيد أن إنجلترا قد بذلت الجهود الجبارة في طرد فرنسا من أمريكا الشمالية لتكون لها خالصة ، وتنفرد هى باستعمارها ، فاستعانت بأمير « هس كاسل » تشترى منه شعبه الجند لتحقيق مطامعها .

لم يكن الأمير لينسى فضل اليهودى عليه ومابذله من أجله لدى معارفه من أصحاب المصارف في فرنكفورت لتخليص ثروته الهائلة يوم فر بها من وجه نابليون سنة ١٨٠٦ ، ولو لم يكن غير هذا سبباً للصداقة لكفى ، ولكن الأواصر قد توثقت بدوام النصائح العملية التى كان يسديها روتشيلد إلى صديقه الأمير ، فضلا عما تميز به اليهودى من حذق بالغ في تدبير المال ، وشح وصل بصاحبه إلى حـــد الجنون ، وسيطرة نافذة على أسواق فرنكفورت . أضف إلى هذا كله ما بين الرجلين من تقارب في الميول لاستثمار الأموال .

لهذا وضع الكونت كل ثقته في روتشيلد واستخدمه وكيلاً عاما لشؤونه المالية ، من باب عرفان الفضل لذويه ، فأبدى من المهارة في عمله ما جمله أحدوثة التجار في حى اليهود ، وتقاطرت على الأمير طلبات القروض المالية من حكومات الداغارك وهسى دار مستان وبادن ، كما تكاثرت عقود استئجار أفراد شعبه ، وهو يقدمهم لإنجلترا كأنهم رءوس من الغنم يدفعها إلى (سلخانة) الحرب الاستعمارية قطيعاً بعد قطيع .

ولم يكن تقديم هذه القطعان البشرية على هذا النحو جرياً وراء انتصار لحق ، أو رغبة في اقتسام مغنم ، أو بمجرد الحب الصافى لأصحاب العيون الزرق ، وإنما هو المال ولا شيء سواه .

كانت إنجلترا تستأجر — أو بالأحرى تشترى — قطعان هس كاسل بثمن ، والأمير بدوره يدفع لهم أو لعائلاتهم ثمناً بخساً في حالة الحرب ، أما المصابون بجراح أو عاهات تقعدهم عن كسب العيش ؛ أما الذين تودى بهم الحرب إلى دار الفناء ، فإن إنجلترا تدفع عنهم للكونت التعويضات المناسبة ، التى يعود معظمها عليه وعلى وكيل ماليته بالذهب الغزير .

وليس في هذا أى غضاضة ما دامت القاييس المعاصرة تبررها ولا تستنكرها ، فإنما هو كسب تجارى ، والمكسب هو الفرق بين ثمن البيع وثمن الشراء ، وليس يهم بعـــد ذلك إذا كانت السلعة جماداً أو نباتاً أو حيواناً أو إنساناً فهى تجارة تؤدى إلى ربح ، وهذا هو المطلوب .

وتجارة كهذه لا بد أن تدر المال الكثير وتجلب الثروة الضخمة ، مما جعل للرجلين صفة ممتازة عند الحكومات الأجنبية التى تتعامل معها ، ولا سيما تلك السمعة الطيبة التى ظفروا بها في جميع الأوساط من حسن المعاملة ، والوفاء بالتعهدات ، وتنفيذ الشروط المتفق عليها ، بالشرف والأمانة ، من غير غش أو تزوير .

أما المحاربون وعائلاتهم فليس لهم أن ينبسوا ببنت شفة مادام أميرهم هو السيد المطاع الذى امتلك أرواحهم وأجسادهم يوم

امتلاك الأرض بما عليها ومن عليها ، فهو يبيعهم فيهم ويشترى ، كيف يشاءومع من يشاء ، فإذا أعطاهم رواتبهم ، والتعويضات بعد موتهم ، فذلك فضل منه .

وكان روتشيلد يخشى أن تتبدد الثروة بعد وفاته بين ذرية وأزواج بناته ، فسارع إلى بيع متجره لبنيه الخمسة الذين عرفوا معه في التجارة ، وضربوا في البلاد طولاً وعرضاً ، للسيطرة على زمام المال بر البحار ، واحتكار الأسواق ولضمان ذلك أنشأوا نظام « المراسلة » للوقوف على الحركات المالية بين مدها وجزرها وبهذا ظلت ألاعيبهم طى الكتمان ، وبمأمن من عواصف المضاربات .

ومات شيخ التجار اليهود في فرنكفورت سنة ١٨١٢ وترك هذا التراث الضخم لأرملته وبنيه وبناته ، فأكبوا على المال يستثمرونه بكل طريق مشروع ، وحرصوا كل الحرص على خطة أبيهم ، واتبعوا وصيته ، وعضوا بالنواجذ على تقاليد الأسرة ، وساروا خلف أبيهم : وقع الحافر على الحافر .

واقتسم الإخوة أرجاء القارة فيما بينهم ، فأقام ناتان بلندن ، وجيمس بباريس ، وماير بفرنكفورت ، وشارل بنابلى ، وسليمان بفينا ، وهكذا أحكموا ثقوب المصيدة على أوربا التي لم تلبث حكوماتها أن وقعت كالفيران واحدة تلو الأخرى في حبائل روتشيلد .

كانت العصابة اليهودية تعتنق مبدأ « ادخل من الحضيض لتخرج من القمة » ومن أجل هذا التمست كل سبيل إلى هذه الغاية . وأخذ اليهود الخمسة أنفسهم بتحقيق أغراضهم ، وإن شطت بهم الديار ، وبعد المزار ، وعلى ضوء التعليمات الآتية دخلوا من القاع :

أولا : يندمج أبناء روتشيلد اندماجاً كليا في البلاد التي يقيمون بها ويتعرفون على دقائق الحياة فيها .

ثانيا : مصلحة روتشيلد أولا ، فيهود فرنكفورت ثانياً ، ثم اليهود عامة ، ومن بعد ذلك الطوفان .

ثالثاً : لليهود وحدهم تكون الأميال والأموال .

رابعاً : التعاون مع الحكومات تعاوناً إيجابيا يكون من شأنه تحقيق أهداف روتشيلد وليكن بعد ذلك ما يكون .

خامساً . ليس لأحد الإخوة الخمسة أن ينقد خطة الآخرين ، وفى حالة الفشل يتعاون الجميع على انتشاله .

سادساً : اتخاذ كل الطرق المؤدية إلى النجاح ولا سيما بالرشوة والدس والإلحاد والدعارة والسرقة والتقتير ، وما يستحدث بعد ذلك من أساليب

سابعاً : المال .. المال .. المال .. ولا شيء إلا المال .

وفى الحق أن الإخوة الخمسة كانوا أمناء على هذه التعليمات : كل في دائرة عمله ، وكانوا من النشاط بحيث فاقوا القردة والثعالب خفة ودهاء .

كان (ناتان) مقيماً بإنجلترا منذ أسند إليه أبوه عملا ماليا هاما ، واتفق أن ضرب الحصار القارى على المانش ، وخشى (ناتان) عواقب التهريب ، على أن نابليون لم يكن يسمح بالتهريب إلا في حدود ضيقة وذلك فقط إرضاء للحلفاء ، وإلا تحطمت الصداقة على هذه الصخرة المانية ، في مثل هذا التوتر السياسى الذى ساد العلاقات الدولية آنذاك .

وأغلق الباب في وجه ولنجتن بجنوده في فرنسا ، وأعوزته النفقات تأتيه من إنجلترا ، وكان الإنجليز في حيرة من أمرهم ، وتنازعهم الخوف والرجاء : الخوف من تسرب المعادن النفيسة إلى الخارج ، والرجاء في توصيل المال إلى ولنجتن

أما ناتان فقد ائتمنه أحد النبلاء الإنجليز على أموال طائلة في فترات متعاقبة بغية أن يستبدل بها كميات من الذهب والفضة لتهريبها إلى فرنسا عبر المانش ، وعرف ناتان من أين تؤكل الكتف ، فاتصل بأخيه جيمس ووصاه بالمبادرة إلى الحصول على ترخيص من ولاة الأمر بباريس لدخول رسائله وبذلك ضرب ناتان عصفورين بحجر ، وحصل على مبالغ طائلة من وراء التهريب .

وفى هذه الفترة كانت المالية الإنجليزية في عجز شديد ، واضطراب بالغ ، ولم تدر إنجلترا من أين تشترى الذهب ، وبالتالى كيف تنقله إلى جنودها في الخارج ، وبرز ناتان في الميدان ، وسرعان ما استعان بجيمس الذى لعب دوره في السوق المالية حيث اشترى جميع الأموال الفرنسية التي أتخمت أوربا . ونجح ناتان في نقلها إلى إسبانيا وإلى النمسا ، وقد عادت هذه العمليات عليه بأرباح تذهل العقل ، مع أنه لم يلجأ إلى تحويل العملة عند

النقل كما أنهـا لم تتعرض للأخطار من أى نوع ، ووصلت سمعة شركة روتشيلد إلى قمة الثقة لدى جميع الحكومات .

وخيمت الغيوم السياسية على جميع أوربا ، ومنيت الحالة المالية فى كل مكان بالهبوط السريع المؤدى بالحكومات إلى الهاوية السحيقة ، وإزاء هذه الحالة انفردت عصابة روتشيلد بالقدرة على سد الحاجة ، فأخذت تقرض بالربا الفاحش . وتخص بقروضها ما تشاء من الحكومات ، وتحتكر الأسواق المالية .

ولما فرض التعويض الحربى على فرنسا وتحتم نقله عبر أوربا ، لم تجرؤ إلا شركة روتشيلد فتعهدت بالمهمة وقامت بها خير قيام . وربحت من جراء ذلك بنسبة واحد ونصف فى المائة من عشرين مليوناً من الجنيهات أو أكثر ، علاوة على ما ظفرت به من شكر حار وجهه إليها وزير إنجلترا ، لقاء خدماتها التى تنوه بالاضطلاع بها على جميع الشركات وإن كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وهذه حكومة النمسا تئن تحت ديونها الفادحة للمصارف النمسوية . فتعهدت عصابة روتشيلد بنقل نصيبها فى التعويض الحربى ، بل أقرضت النمسا الأموال التى كانت فى حاجة إليها . مما حدا بإمبراطور النمسا إلى أن يخلع على العصابة ألقاب الشرف ، وسمح لها بتأسيس فرع لها فى فينا ، قام على شؤونه (سليمان روتشيلد) .

وامتدت أيدى الأشراف فى النمسا وبروسيا وروسيا إلى الاستدانة ، مما أنعش حركة القروض فى فرعى فينا وفرنكفورت على نحو ظاهر .

وقامت فى نابلى ثورة أهلية فبعث (مترنخ) حملة لإخمادها ، وفرض على الثوار غرامة مالية باهظة ، فطلب من (شارل روتشيلد) أن يدبر المال للمغلوبين على أمرهم مع مراعاة مصلحة النمسا فى هذا الإقليم . ولكن شارل سليل روتشيلد — تلك العصابة اليهودية التى تحددت أهدافها — كان وفيا للتعليمات ، حريصاً على المبدإ ، ولو على حساب (مترنخ) بل النمسا التى زرعته برفق فاقتلعها بقوة .

اندس شارل فى أوساط نابلى كما تندس الأفعى فى أحضان عش دفء ، وسعى سعياً حثيثاً فى مقاومة الاحتلال النمساوى . وفتح خزائنه للمقترضين عسى أن يعتدل الميزان الاقتصادى ، ولكنه على العكس انقلب رأساً على عقب ، وزادت الحالة سوءا ، وجاء شارل وأعماها ، من حيث أرادت أن تكتمل عالة عيناها ، ولم تنل من الأصفر الرنان ، غير الرنين الطنان وعجز الحاكمون عن إصلاح ما أفسد الدهر وشارل ، ولكنه توارى بالحجاب ، وداعب العيون ببريق الذهب ، فتهافتوا عليه تهافت الفراش على النور ، فاصطلوا بالنار .

هكذا كان شارل ؛ فقد سنحت له الفرصة « الذهبية » واغتنم احتياج النمسا إلى المال فأرغمها على تعيين نائبه وزيراً للمال ، فكان له ذلك ، واضطر بركب الصعب من الأمور ، وقام الوزير بتعديل يسير تلاه قرض ظفر به للنمسا من إنجلترا ، فتحسنت الحالة ، وتألق نجم شارل حتى اختاره البابا مديراً لأمواله تقديراً لخدماته التى تذكر فتشكر ، وما كان أغنى شارل عن وافر الشكر ، وعاطر الذكر ، ولكنه يعمل حيثما كان فى سبيل المال لنفسه ، أما إذا كان لليهود فسعيه فى سبيلهم مشكور وهو على ذلك غير مأجور ولا مأزور ، وبحسبه هذا الحرص على تعليمات روتشيلد ، يرعاها ويعض عليها بالنواجذ .

وأنشأ (جيمس) مصرفاً فى باريس ، تقاطرت عليه طلبات القروض ، فربح من ذلك ثروة جعلته فى أسرع وقت أغنى رجل فى فرنسا بعد الملك ، وصارت عصابة روتشيلد أخطر على البلاد من سائر الدول الأجنبية بعد إنجلترا ، التى أهوت بفؤوس الخراب على رأس فرنسا ، فجاءت روتشيلد تحصد ما تبقى من يابس وأخضر .

وكان لسليمان فى النمسا وجهته ، ولكل وجهة هو موليها ، فقد ساهم فى المنشآت العامة كالطرق الحديدية والمناجم ومصانع الألغام ، وما كان هدفه من وراء ذلك إلا المال ، ولا شىء إلا المال ، ولما اعتزم مترنخ إعلان الحرب على بلجيكا أعوزه المال وفى ظنه أن خزائن سليمان منه على مد اليمين ، ولكن خاب فأله إذ رفض سليمان ، ولم يكن بد من العدول عن الحرب .

هذا وعصابة روتشيلد لا تتوانى عن إمداد اليهود بكل ما يخفف ويلاتهم ، ويثبت قواعدهم ، ويجمع شملهم الشتيت ، يبذلون فى ذلك المال بسخاء ، وبدون قيد أو شرط ، أما المثل العليا والحركات الناهضة ، والمشروعات العامة ، فذلك بعيد عن رسالتهم ولا يتمشى مع اتجاههم بسبيل ، فلا يولونه غير أذن من طين وأخرى من عجين .

كانوا من الذكاء إلى حد استغلال الخرافات والأساطير للسيطرة على أوهام الناس ، وجذب الأنظار إليهم ، فقد اقتضاهم نظام المراسلة التي أنشأوه تكاليف طائلة هانت كلها أمام بحلهم في نقل خبر هزيمة نابليون في (ووترلو) قبل شركات الأنباء بيوم ، فتمكنوا من تكييف أعمالهم المالية حسب الظروف ، وكسبوا أيضاً قصب السبق في نقل الأنباء .

وسرعان ما دخلوا من القاع ، وعجلان ما خرجوا من القمة ، وتربعوا على كراسي الحكم في يسر ، وامتزجوا بطبقات الأشراف عن قرب ، وطاردتهم فلول المعارضة ، في كل مكان ، فلم تلبث أن أعياها الكلال ، وأجهدها اللحاق ، ففي النهاية آثر المخلصون أن تزداد الحالة سوءا بأيدي المواطنين الكاثوليك ، على أن عتد إليها بالإصلاح أيدي الأجانب اليهود ، ولكن ما الحيلة ؟! ... العين بصيرة ، واليد قصيرة ، وروتشيلد كالأخطبوط آخذة بخناق أوربا ، ومركزها في جميع الأرجاء وطيد بحيث تفزع إليها الحكومات كلما حزبت الأمور ، واشتدت الأزمات وما أكثرها كما أن الدول لا تطمئن إلا لها في نقل التعويضات إلى حيث تشاء عبر أوربا وهي بمنجاة من الخسران .

ومع هذه الثروات الضخمة التي كدسوها من الربا والثمن والاحتكار لم يحاولوا الظهور في ميدان النظم الاقتصادية الحديثة القائمة على أسس علمية ، فما كان أبعدهم عن هذا المضمار نظريا وعملياً ، وما كان أقربهم من الحركات الرجعية الضاربة بعروقها في أعماق الشيح والأثانية

فقد اكتشفت مناجم الذهب ، وفاضت منابعه ، وامتدت الطرق الحديدية ، وتعددت الثروات واتسعت المصانع ، وانتهبت الضحايا — وهي في الرمق الأخير — إلى الذئاب السود وقد ولغت في دماء أفراد الشعوب ، وتشدقت بأشلاء حكومات الدول .

وعندئذ انكمشت العصابة السوداء في أوكارها ، وبدأت تم شعثها في الخفاء ، ولكن أذنابها لم تزل حتى يومنا هذا تفعل أفاعيلها في لندن وباريس وفرنكفورت وفينا ونابلي . ولما كان ثانان أكثر الإخوة نشاطا ، فقد لزم أن تكون لندن مركز هذا النشاط . ومن هنا كان على إنجلترا أن تتبنى سياسة عصابة روتشيلد ، مسترشدة بأساليبها ، مقتفية آثارها ، ولا سيما بصدد الاستعمار : وليدة اللصوصية اليهودية ، وسليل الاتجار بالقطعان البشرية .

وتم التناسخ بين اليهود والإنجليز ، وصعب على الناس التمييز بينهما ، فإذا قالت إنجلترا « عسكنت فتمكنت » تبادر إلى الأذهان أنها ترجمة حرفية لمبدإ « ادخل من الحضيض لتخرج من القمة » .

وسيذكر التاريخ بمزيد الإعجاب فلاسفة أوربا المعاصرين أمثال (زهاروف)، و(ليفنسون) و(ميرز)، و(وارشو)، و(هارولد لاسكي) و (شارل فرانسز) ، و (هنري آدمز) ، و (ولز) وغيرهم من الباحثين في تاريخ الثروات ووسائل تحصيلها وعوامل التضخم المالي في أوربا وأمريكا ، وما خلت الحركات المالية قط من أصابع اليهود الذين أمسكوا بعجلة التقدم ، فعطلوا العالم عن بلوغ أهدافه السامية ، وعكروا صفو السلام السياسي والاقتصادي ، وإلى هؤلاء الباحثين يرجع الفضل في الكشف عن أسرار الخراب الأوربي في القرن الماضي ، وبحسبهم أنهم رفعوا النقاب الأسود عن وجه القارة ، وتتبعوا الأساليب اليهودية في كل مضمار ، ووقفوا على خبايا الاستعمار ، وخفايا السياسة « الأنجلو يهودية » مع الدقة والإخلاص في الشرح والتشريح .

ولسنا نجد أقرب من الكاتب الفيلسوف (هـ . ج . ولز) وهو إنجليزي لحماً ودماً وهو يشهد أمام محكمة التاريخ فيقول : « وإذا قامت أسرة روتشيلد بتحرير اليهود فإنما تحرر نفسها ، وستسترد ما تنفق من مال بفضل تعاون اليهود الذي يقتضيه فعل المعروف ، ويظهر أن ولاءهم لبني جلدتهم كان غريزة ركبت في طبعهم ، كاتحادهم الطائفي ، ودأبهم على العمل ، على الرغم من أن رسائلهم وأساليبهم العملية لا توحي للباحث بهذا الرأي » .

وليتأمل معي كل بصير هذه العبارة « وستسترد ما تنفق من مال » ولنذكر إلى جانبها عبارة أخرى للكاتب الفيلسوف يصدد تبرير هذه السياسة إذ يقول « إن أعمالهم كلها عادلة تبررها مقاييس العصر » ، وهكذا صدق المثل العربي « إن العصا من العصية وهل تلد الحية إلا حية » .

ليت العرب يعلمون هذا ، ويعملون بقول شاعرهم :

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها
إن كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا

محمد محمود زيتون